الحرب فى أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

بين الديمقراطية والديكتاتورية

إلى أى طريق تساق البشرية؟ وهل قدر أن تسود الديمقراطية، أو تسيطر الديكتاتورية ؟ وهل يستطيع العالم بعد ما ذاق طعم الحرية وتعود جنى ثمارها وتطبع بأخلاقها ، أن يتخلى عنها تحت ضغط الحديد والنار ؟ إن التاريخ البشرى حافل بقصص المجاهدين فى سبيل حرية الفكر ، مملوء بأحاديث الضحايا الذين فضلوا الموت على أن يتنازلوا عن مبدئهم

فإذا ذكرنا أن الحرية كانت فى مهدها فى تلك العهود ، وذكرنا أيضاً أن الناس ظلوا أجيالاً طويلة ورقابهم تحت السيف أدركنا أن الديمقراطية تنتصر حتماً مهما طال عهد النضال وتأكد لنا أن الدكتاتورية لن تسيطر إلا إذا عبدت طريقها على رمم الديمقراطيين . فالحرب الآن نضال بين مبدأ الهمجية ومبدأ الإنسانية !

مأساة تتكرر

وإذا كانت جيوش ألمانيا الآن قد تقدمت فإنها تعيد ما حدث فى سنة ١٩١٤ عند ما وصلت على بعد ٧٠ ميلاً من باريس وجيوش الحلفاء لم تصب بعد بخسائر كبيرة ، بل هى تتقهقر بانتظام بكامل قواتها حتى تسنح الفرصة الملائمة ، وحتى تضعف عدة الهجوم الألمانى وتتوزع قواته؛ فإنه يلاحظ فى هذا الهجوم عدة أوجه : أولها أن قوات الحلفاء تتجمع بينما قوات الألمان تتوزع . وقوات الألمان فى مناطق ثائرة تريد الخلاص ، بينما قوات الحلفاء فى مناطق موالية تعمل للدفاع . وثانى هذه الأوجه اتساع جبهة القتال الألمانية وتخلخل قواتها ، تخلف جيوشها فى فرنسا قوات معادية كبيرة فى بلجيكا. فحكومة بلجيكا ما زالت قائمة فى ديارها تعتمد على جيوش بلجيكا وبريطانيا وفرنسا ، ومعاركها لم تنته بعد لتقرر سلامة النتوء الألمانى الذى يمتد من لونجوى إلى اميان ووجهته موانىء بحر الشمال . ويفهم من تغيير القيادة الفرنسية تغييراً جوهرياً فى الخطط العسكرية ، كما يفهم من تصريحات رئيسى وزراء فرنسا وانجلترا أن الحلفاء صمموا على النضال إلى النهاية حتى يضمنوا النصر . وهذا مؤكد بفضل اتساع مواردها المالية ، وغنى الامبراطوريتين الانجليزية والفرنسية واتساع رقعتيهما

انهيار الخطط

وتقدم الجيوش الألمانية الحالى لا يدل على نصر أو خذلان لأى الجانبين ، بل يرجع فى حد ذاته إلى اختلاف فن القتال عند المتحاربين وتقديرهما للرجال والخسائر . فبينما ألمانيا لا تقيد بكثرة الضحايا وتقدم الميدان أعداداً كبيرة منها ، تحرص انجلترا وفرنسا على أن يكون عدد الضحايا أقل ما يمكن . بل إنه يبدو للمطلع أن قيادة الحلفاء تقدر قيمة الموقع الذى تدافع عنه أو تحتله وما يتكلف من خسائر ؛ ثم تقدر مكسبها أو خسارتها . وعلى هذا الأساس تقرر خططها ، وغالباً ما يعز عليها الضحايا فتوفرهم لفرصة أوفق وأقل ضحايا

وإذا عدنا إلى حوادث الحرب العظمى ووسائل الهجوم الألمانى أمكننا أن ندرك مبلغ حرص القوتين المتحاربتين على سلامة رجالها، ففى هجوم الألمان على خط كونديه ـ مونز ـ بينش، كانت قوات المشاة تتقدم فى جماعات غفيرة متراصة يسهل حصدها بالمدافع السريعة الطلقات أو البنادق ، حتى قال جنود الجيش البريطانى التى كانت تتولى الدفاع عن هذا الخط بقيادة الجنرال فرانش : « إنه كان يكفى أن تطلق البندقية فى أى اتجاه فتضمن استقرار الرصاصة فى جسم أحد الجنود الألمان »

هذا بعكس خطط الهجوم الإنجليزى أوالفرنسى ، إذ يتقدم الجنود فى خطوط رفيعة بين كل جندى والآخر مترات تقريباً ، فيطيش عدد كبير من الطلقات ويقل عدد الضحايا إلى أقل نسبة ممكنة . وحقيقة أن هجوم قوات الحلفاء يحرز النصر بعد مدة أطول ، بينما يعطى هجوم الألمان نتائج سريعة ، ولكن بخسائر فادحة ؛ وهذا ما يحدث الآن . فلكى ينتصر الجيش الألمانى فى موقعة يجب أن تكون قواته ضعف قوات أعدائه فتتغلب عليه بالكثرة العددية

أخطاء خطيرة

وارتكبت فى الموقعة الحالية عدة أخطاء كبيرة استغلها الجيش الألمانى أحسن استغلال . فقد قررت قيادة الجيوش البلجيكية

أن تخلى خطّ دفاعها الأول الممتد على الحدود فى منطقة أردن إلى حصن ليبج ، وأن تبدأ عملياتها الحربية فى خط الدفاع الثانى على نهر الموز، وهو نهر سريع الجريان وذلك ليتاح لها الاستفادة من نجدات جيوش الحلفاء . ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان فإن القيادة الألمانية هاجمت بلجيكا من جبهتين الأولى من لكسمبورج إلى منطقة أردن وكانت هذه الجبهة كما قلنا خالية من الجنود المدافعة . والثانية اجتاحت مقاطعة لامبرج الهولندية واستولت على ماسترخت ومنها اتخذت شكل مروحة فاتجه بعضها غرباً ، واتجه البعض الآخر جنوباً فى حوض نهر الموز وأرضه سهلة . وكان هـذا مقدراً لدى القيادة البلجيكية على أن يستمر الجيش الألمانى على الشاطئ الشرقى للنهر ويتعذر عليه المرور بفضل القوات التى ترابط على شاطئه الغربى بعد نسف الجسور المقامة على النهر

ولكن خطأ ثانياً أفسد هذا التدبير فلم تنسف الجسور وتمكنت الجنود الألمانية من اجتيازها لأسباب لم يكشف عنها بعد . ولكن هـذا الخطأ كان على جانب كبير من الخطورة إذ أصبح هـذا الخط عديم الفائدة مما اضطر قوات الحلفاء إلى التراجع إلى خطوط خلفية أقل مقاومة فساعد ذلك جيوش الألمان على مهاجمة فرنسا بقوات كبيرة

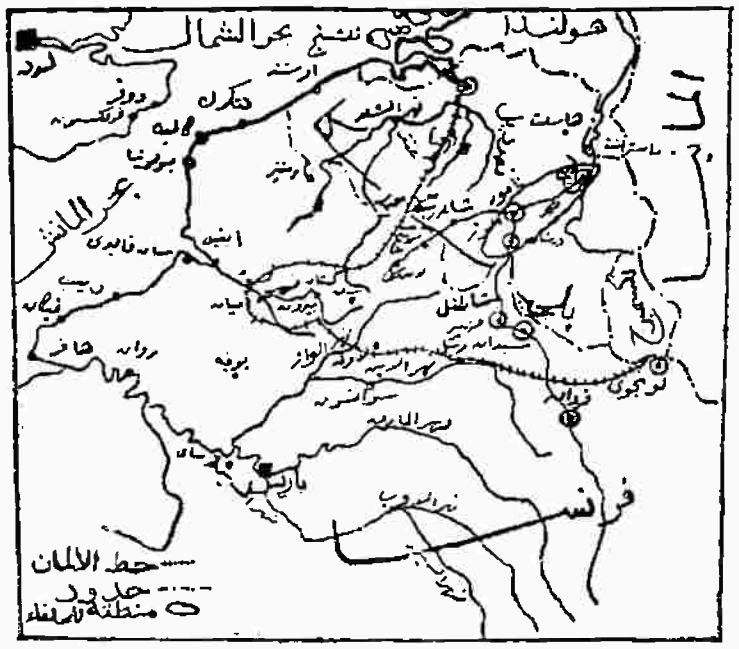

ولنسف الجسور فى حالة وقف الهجوم أهمية كبيرة . إذ يتعذر بعد نسفها على الجيوش المهاجمة أن تنقل قواتها ويصبح النهر فاصلاً بين القوتين . وبينما يكون المدافعون محصنين خلف الحصون الطبيعية أو الصناعية يكون الجنود المهاجمون مكشوفين لنيران القوات المدافعة وخصوصاً إذا أرادوا اجتياز النهر لإنشاء الجسور العسكرية لمرور قواتهم

ولنقدر أهمية نسف الجسور نذكر أن عدة أوسمة رفيعة تمنح للأفراد الذين ينجحون فى نسفها . وفى الحرب الماضية منحت ستة أوسمة تقريباً من « صليب فيكتوريا » لمختلف الرتب العسكرية من الجنود إلى الضباط اعترافاً بما أدوه من خدمات بنسف الجسور فى جبهة كونديه بنش ، وهذا الوسام هو أرفع الأوسمة العسكرية البريطانية ، ولم يحصل عليه إلا عدد قليل

بين مربين

والخطة الألمانية الحالية لا تختلف كثيراً عن الخطة التى نفذت سنة ١٩١٤ ، ووضعت قواعدها فى أواخر القرن الماضى . فهى تتكون من اجتياح هولندا فى مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام ؛ ثم اجتياح بلجيكا للوصول إلى سهول فرنسا الشمالية عن طريق حوض نهر الموز : وهو سهل منبسط قليل العقبات الطبيعية التى تعتبر عقبة فى سبيل تقدم الجيوش . أضف إلى ذلك أن الحصون الفرنسية فى تلك المنطقة أضعف منها على حدود ألمانيا ، فعلى الحدود الفرنسية البلجيكية كانت تقوم حصون متفرقة أقل مقاومة من خط ماجينو الذى ينتهى عند لونجوى

وتختلف خطة ألمانيا الحالية عن خطتها سنة ١٩١٤ فى اجتياحها هولندا لغرضين عسكريين: الأول اتخاذ قواعد برية وبحرية وجوية تقرب بينها وبين انجلترا ، والثانى لتأمن على جيوشها هجوم قوات الحلفاء من هولندا فالمسافة بين شواطئ هولندا وانجلترا قصيرة لا تتجاوز ١٥٠ ميلاً تقطعها الطائرات فى أقل من ساعة ، كما تتخذ موانيها قواعد للغواصات ، وبهذا يتيسر لها استغلال أسطولها الجوى على أحسن وجه . وتتجه القوات الألمانية إلى الغرب للاستيلاء على موانئ فرنسا على المانش لقطع المواصلات بين فرنسا وانجلترا ليتعذر نقل القوات البريطانية إلى فرنسا

انهيار مفاجئ

ويبدو لنا أن خطط الحلفاء الجديدة قد نجحت فتيسر لها وقف التقدم الألمانى ، بل إنها تمكنت من طرد القوات الألمانية

من بعض المناطق التي سبق أن استولت عليها . ولعل هذا يوضح السبب فى التجاء الألمان إلى إنزال بعض جنود الظلات الواقية خلف خطوط القتال لتؤدى مهمة قطاع الطرق؛ فتعتدى على المدنيين لبث الرعب فيهم، ولتخلق لقيادة الحلفاء بعض المتاعب التى تصرفها عن العناية بجبهة القتال . ولكننا نعتقد أن هذه الوسيلة فاشلة مقدماً ، فقد عرفت وسائلها واستعدت لها البلاد ، ونظمت قوات خاصة لتطهير هذه الآفات الكثيرة النفقات التى إن تحملتها موارد ألمانيا الاقتصادية فترة من الزمن فلن تتحملها فترة أخرى

فإن جندى المظلات الواقية يتكلف بضع مئات من الجنيهات. فوزن المظلة الواقية وحدها ٢٢ رطلا من الحرير الطبيعى يضاف إليها نفقات معداته من دراجة بخارية ومدفع سريع الطلقات وأنصار سريين يشترون بالمال من داخل البلاد . فكل هذه النفقات لا تتحملها الموارد الألمانية. ولهذا يتردد كثير من خبراء الحرب فى اعتبار الخطوات التى اتخذتها ألمانيا خطوات موفقة ، بل يقول بعضهم إن حوادث سنة ١٩١٤ تتكرر فى هذه الحرب إذ تفوز فى أكثر الميادين العسكرية ثم تتحطم دفعة واحدة فى الميدان الاقتصادى ولا تجد الموارد اللازمة لإمداد جيشها

ولعل القارئ يذكر ما أصاب المالية الألمانية من إفلاس عقب الحرب الماضية ، إذ هبطت قيمة المارك الألمانى فلم يساو ثمن الحبر الذى طبع به حتى اضطرت إلى إلغائها فى آخر الأمر فإن ألمانيا تلجأ إلى طبع الأوراق المالية دون أن يكون لها الرصيد المعدنى الكافى الذى يحفظ لهذه الأوراق قيمتها فى السوق

هل هو تعديل ؟

ويرى بعض المفكرين من كثرة اعتداء ألمانيا على الدول الصغيرة المجاورة لها تعديلاً لخططها الاقتصادية الحربية . فهى فى عرفهم تحصل على موارد البلاد المحايدة آنا بالتهديد وآنا بالاجتياح فإن الرعب الذى يستولى على دول البلقان يجعلها تقدم لألمانيا كل ما تطلب منها اتقاء لشرها . وقد ازداد رعب هذه الدول نتيجة لتقدم الألمان فى فرنسا وبلجيكا فأصبحت أقل مقاومة وأكثر ليونة تحت الضغط الألمانى

وكلما قصرت الموارد فى ألمانيا اجتاحت دولة لتحصل على مواردها ونقدها . ولكن من الشكوك فيه أن تظل الدول التى تجتاحها بقرة حلوبا بسبب تدمير الجيوش للمرافق العامة أثناء انسحابها ، ولأن أكثرها الآن يحفظ رصيد نقده فى أماكن بعيدة عن الخطر مثل أمريكا التى تحتفظ فيها أكثر الدول بأموال كبيرة

أضرار تفرع

وكشفت حركات ألمانيا الأخيرة عن عدة مشاكل دولية قد تؤدى إلى اشتراك عدة دول فى الحرب . فإن اعتداءات النازية المتكررة أفزعت الأمريكيين، وبعد ما كانوا يقصرون أبحاثهم على خير الوسائل لمساعدة الحلفاء بالعتاد الحربى ، تبدلت النغمة وظهرت أصوات فى مجلس الشيوخ الأمريكى وفى الصحف تطالب علناً بوجوب اشتراك أميركا فى الحرب

فالأمريكيون يرون أن النازية مظهر من مظاهر الوحشية والهمجية ويرون أن انتصارها عدم للمدنية الحالية وقضاء على الديمقراطية يرجع بالإنسانية آلاف السنين ، حيث كان يخضع المجموع للفرد ، ويتحكم السيف فى رقاب الناس بدلاً من المنطق والعقل . والأمريكيون أكثر شعوب الأرض تمسكاً بالحرية ومبادئها ؛ وهم مستعدون دائماً لبذل دمائهم فى سبيلها

وسيطرة النازية على أوربا معناها عندهم تهديد لحريتهم ، ولا سيما بعد ما تكشفت عدة دسائس نازية ترمى إلى الاستيلاء على أمريكا بوسائل الدعاية وإثارة الحرب الداخلية . هذا فضلاً عن اشتراك الولايات المتحدة وكندا فى حدود واحدة ، ثم قرب جزيرة جرينلند من الشواطئ الامريكية مما يسهل اتخاذها قواعد عسكرية . فاعتزال أمريكا لمشاكل أوربا نظرية لا تقرها العقلية الأميركية الآن

هيمنة الشرق

ويحتفظ الحلفاء فى الشرق بقوات كبيرة انتظاراً لما قد تولده أطماع ألمانيا وغيرها من الدول الدكتاتورية فى البلقان . فإن إيطاليا والروسيا لم توضحا بعد موقفهما وتلوحان آنا بالحرب وأخرى بالحياد، فهذه النغمة تفقد الحلفاء ناحية التركز التى تستفيد منها ألمانيا. فبينما هى تركز أكثر قواتها فى الجبهة الغربية تتوزع قوات الحلفاء فى مصر وسوريا وفلسطين وتونس والجبهة الغربية

وتعمل الخطط الألمانية للقتال فى جبهة واحدة فقط ، ولكن الواجب على الحلفاء أن يشغلوها فى أكثر من ميدان حتى تتوزع قواتها فيخف الضغط عن الجبهة الغربية وتقع ألمانيا فى المأزق الذى تتحاشاه

فريد الشتوى